ISSN: 2750-6142

المجلد 3، العدد 9، 2024
Vol: 3 / N°: 9 (2024)

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS

The Efficacy of Symbolic Interaction Theory and Its Interpretative Limits in the Context of Studying Urban Youth Culture and Everyday Discourse among Street Art Practitioners in Casablanca Morocco

El-Houcine Talbioui
Hassan II University, Casablanca, Morocco
Email : talbiouihoucine@gmail.com
Orcid : 0009-0001-7819-2220

Received	Accepted	Published
25/10/2024	31/10/2024	31/10/2024

: 10.63939/AJTS.48h4r757

Cite this article as : Talbioui, E. (2024). The Efficacy of Symbolic Interaction Theory and Its Interpretative Limits in the Context of Studying Urban Youth Culture and Everyday Discourse among Street Art Practitioners in Casablanca Morocco. *Arabic Journal for Translation Studies, 3*(9), 342-359.

Abstract

This research aims to examine the efficacy of symbolic interaction theory and highlight its interpretative limits through a field study of urban youth culture engaged in street arts in Morocco. We adopt a reflexive approach to investigate the constraints that hinder a deeper understanding of youth culture. Reflexivity refers to the role of sociologists as participants in the communities and cultures they study, considering the biases that may influence their research. It is crucial for researchers to maintain an awareness of their impact on study subjects, thus upholding an ethical stance that assumes a neutral role despite the challenges encountered.

The reflexive critique focuses on the researcher's self, prompting a re-evaluation of their ethnographic position as an observer to identify pitfalls and mechanisms contributing to sociological knowledge production. Symbolic interaction theory emphasizes the study of symbols and meanings exchanged during social interactions, positing that individuals construct meanings and realities through these interactions. This framework helps us understand how individual and collective identities are formed.

Symbolic interactionism enables an analysis of youth language and cultural expressions by examining how they utilize language, fashion, behaviors, and social attitudes for communication and interaction. It also sheds light on how youth create their own culture, significantly influenced by "cultural patchwork." This leads to an understanding of the limits of symbolic interaction theory, as it often confines researchers to micro-interactions, important for comprehending face-to-face dynamics.

Furthermore, the theory can help us to consider street arts as vehicles of social and cultural communication in urban spaces. We will examine, through deconstruction of symbols in artistic expressions such as graffiti and slogans, their participation in communicating particular social meanings and the interaction they evoke, while measuring the impact of these arts on social dynamics and the making of new social interaction spaces.

Keywords: Symbolic Interaction, Theory Reflexivity, Urban Youth Culture Street Arts, Sociological Knowledge, Cultural Patchwork

© 2024, Talbioui, licensee Democratic Arab Center. This article is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited.

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 3، العدد 9، 2024
Vol: 3 / N°: 9 (2024)
ISSN: 2750-6142

كفاءة نظرية التفاعل الرمزي وحدودها التفسيرية في سياق دراسة ثقافة الشباب الحضري والخطاب اليومي لدى ممارسي فنون الشارع بالدار البيضاء المغرب

الحسين طلبوي

جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب

الايميل: talbiouihoucine@gmail.com

أوركيد : 0009-0001-7819-2220

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024/10/25	2024/10/31	2024/10/31

doi : 10.63939/AJTS.48h4r757

للاقتباس: طلبوي، الحسين. (2024). كفاءة نظرية التفاعل الرمزي، وحدودها التفسيرية في سياق دراسة ثقافة الشباب الحضري والخطاب اليومي لدى ممارسي فنون الشارع بالدار البيضاء المغرب. *المجلة العربية لعلم الترجمة، 3*(9)، 342-359.

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة كفاءة نظرية التفاعل الرمزي، وإبراز حدودها التفسيرية بالرجوع إلى دراستنا الميدانية حول ثقافة الشباب الحضري الممارس لفنون الشارع بالدارالبيضاء المغرب، باعتمادنا مقاربة انعكاسية يتم عبرها الرجوع نحو دراسة الحدود التي حالت دون تقديم فهم أعمق لثقافة الشباب. حيث تشير الانعكاسية إلى دور الباحثين في علم الاجتماع باعتبارهم مشاركين في المجتمعات المحلية، والثقافات التي يدرسونها. والمسافة والتحيزات التي يمكن أن تؤثر في الدراسات والبحوث التي ينجزونها. لدى يحتاج الباحثون إلى وعي انعكاسي بتأثيرهم في موضوعات الدراسة. وعليه فرغم كل الصعوبات التي يواجهها الباحث وجب استحضار الوضعية الأخلاقية التي تفترض دورا محايدا.

إن النقد المعتمد في التفكير الانعكاسي هو موجه من الباحث لذاته، من خلال إعادة التفكير في وضعيته الاثنوغرافية كملاحظ لمجتمع البحث، في محاولة منه لتبيان وإظهار المنزلقات والآليات الأساسية التي تساهم في إنتاج المعرفة السوسيولوجية. ومن جهتها فإن نظرية التفاعل الرمزي تركز على دراسة الرموز والمعاني التي يتم تبادلها بين الأفراد والمجموعات خلال التفاعلات الاجتماعية. وتفترض أن الأفراد يشكلون المعاني والحقائق من خلال التفاعل مع بعضهم البعض مما يسعفنا لفهم الكيفية التي تؤدي إلى بناء الهوية الفردية والجماعية.

بناء على ما سبق فقد اسعفتنا التفاعلية الرمزية في تحليل اللغة والمظاهر الثقافية الشبابية عبر دراسة كيفية استخدام الشباب للغة وبعض المظاهر الثقافية الفرعية مثل: الموضة والسلوكيات والمواقف الاجتماعية للتواصل والتفاعل مع بعضهم البعض وأيضا في فهم كيفية تشكيل الشباب لثقافتهم الخاصة والمبنية في كثير من مظاهرها الراهنة على "الترميق الثقافي"، وهو ما جعلنا نقف عند الحدود التفسيرية لنظرية التفاعل الرمزي من حيث إنها تجعل الباحث حبيس التفاعلات الصغرى رغم أهميتها لفهم التفاعلات وجها لوجه.

وقد مكنتنا أيضا من فهم فنون الشارع على أنها وسيلة للتعبير عن المعاني الاجتماعية والثقافية في البيئة الحضرية. عبر تفكيك الرموز المستخدمة في التعبيرات الفنية مثل الرسومات والكلمات والشعارات، وتحليل كيفية استخدامها للتعبير عن معاني اجتماعية محددة وتفاعلهم معها. وقياس مدى تأثير الفنون على المجتمع عبر استخدام الفضاءات العمومية للتعبير الثقافي والسياسي والاجتماعي، وكيفية تشكيل هذه الهويات الفرعية لمجالات جديدة للتفاعل الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: نظرية التفاعل الرمزي، ثقافة الشباب، فنون الشارع، التفاعل الاجتماعي، الترميق الثقافي

©2024، طلبوي، الجهة المرخص لها: المركز الديمقراطي العربي.
نُشرت هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0).
تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

مقدمة

إن النظرية من منظور معرفي نقدي ترتبط ارتباطا وثيقا بالممارسة، فهذه الأخيرة هي الاختبار الحقيقي للمقولات النظرية كما أن السياقات التاريخية والاجتماعية تفرض قواعدها على النظرية الاجتماعية ولذلك لا يجب اجترار النظريات بشكل جامد وانما محاولة اختبارها للبناء عليها وتطويرها. وقد أكد تيودور أدورنو (Adorno) في سياق النظرية النقدية، أن الموقف النظري لا ينطوي على أي نفور من البحث التجريبي، بل على العكس: يتقدم مفهوم التجربة بمعناه المحدد جدا، أمثر فأكثر، نحو علاقة متبادلة بين النظرية والبحث التجريبي ندعوها المنهج الجدلي(فيغرسهاوس، 2022، ص 336). كما أن "التنظير العقيم" يعكس الصورة القاتمة لواقع التنظير واقترانه بكل ما لا جدوى منه. وبقدر ما ينطوي عليه هذا التوصيف من تعميم اعتباطي، فإن من الإنصاف أن نعترف بمسؤولية واقع التنظير في العلوم الاجتماعية في ترسيخ هذه الصورة السلبية عن ممارسة التنظير، والصورة الذهنية للنظرية الاجتماعية. تزامن ذلك مع تصاعد الاهتمام بالدراسات الأمبيريقية، والتركيز على مناهج البحث الكمية والكيفية على حساب النظرية الاجتماعية (سويدبرج،2020، ص 30).

من هنا يأتي بحثنا في دراسة كفاءة نظرية التفاعل الرمزي، وحدودها التفسيرية في سياق دراسة ثقافة الشباب الحضري والخطاب اليومي لدى ممارسي فنون الشارع بمدينة الدارالبيضاء. حيث تشكل نظرية التفاعل براديغما تحليليا في البحث السوسيولوجي وجهتها القضية القائلة إن السلوك البشري لا يتحدد فقط بالحقائق الموضوعية لوضع ما، بل أيضا بالمعنى الذي يضفيه الناس عليها باستعمال الرموز (كالهون. 2021، ص 225). وتعد النظرية التفاعلية الرمزية (Symbolic Interactionism) واحدة من النظريات الأساسية في علم الاجتماع التي تركز على كيفية بناء الأفراد للمعاني والتفاعل مع بعضهم البعض من خلال الرموز. طورت هذه النظرية من قبل علماء اجتماع بارزين مثل جورج هيربرت ميد (Mead) وهيربرت بلومر (Blumer)، وتعتمد على الفهم العميق لكيفية تفاعل الناس مع العالم الاجتماعي من خلال اللغة والرموز والمعاني المشتركة. إن التفاعلية الرمزية تشير عموما إلى تيار سوسيولوجي أمريكي المنشأ يستند إلى فكرة أن المجتمع هو نتاج للتفاعلات بين الأفراد. ومركز هذا التيار التاريخي يقع في قسم علم الاجتماع في جامعة شيكاغو في منتصف القرن العشرين. كانت جامعة شيكاغو دائما عالما قائما بذاته، مكانا للتأثير الجديد على السيسيولوجيا والأنثروبولوجيا الأمريكية، إشارة إلى إقامة راد كليف براون المؤقتة هناك، إذ كان تأثير براون، جنبا إلى جنب مع تقليد شيكاغو الموحد في علم الاجتماع الحضري (مجموعة مؤلفين، 2017، ص 407).

بعد تحديد هذا المفهوم الأول للتفاعلية الرمزية، يجب التأكيد على أن هذه الأخيرة تشير إلى واقعيات متنوعة، سواء كانت نظرية أو تنظيمية، ولا تكون هذه الواقعيات متطابقة في الولايات المتحدة وأوروبا، خاصة في فرنسا. بشكل عام، التفاعلية الرمزية غير واضحة إلا في ارتباطها بنظرية الفعل وهي نظرية جزئية يمكن من خلالها دراسة الأفعال وتفسيرها. بما أن الانسان بطبيعته يتمكن من بناء هويته الخاصة عندما يتمكن من الحراك ضمن البينية الذاتية المتوارثة لجماعة اجتماعية.

الاشكالية المركزية للبحث

رغم كفاءة نظرية التفاعل الرمزي إلا أنها لا تمكننا من فهم شامل لثقافة الشباب، ولا لفنون الشارع باعتبارها ممارسات معقدة تتعلق أساسا بالخطاب وبالتفاعلات بين الأفراد والمجتمع وتتأثر بالهوية الثقافية للمجتمع العام أكثر من تأثيرها في

الذوق العام. فلا يمكن على سبيل المثال فهم الثقافات الفرعية لفئة الشباب الحضري دون استحضار للمشكلات الحضرية مثل الفقر والبطالة...، في ارتباطها أيضا بقيم المجتمع التي يعتبرها بعض الشباب تقليدية ومنغلقة ومقاومة للتجديد.

ورغم هيمنتها النظرية في علم الاجتماع، فإن التفاعلية الرمزية تهمل تأثير القوى والمؤسسات الاجتماعية على التفاعلات الفردية عبر تجاهلها للعوامل الهيكلية المؤثرة في التفاعلات الاجتماعية، مثل الطبقة الاجتماعية والجنس، والسلطة. هذا ما يعني أنها لا تأخذ بعين الاعتبار العوامل البنيوية التي قد تؤثر في تفسير الرموز والتفاعلات. كما تتجاهل في كثير من الأحيان عاملي الزمان والمكان في استخدام الرموز والدلالات وتفاعلاتها، مما يقلل من قدرتها على تفسير التنوع والتطورات الثقافية عبر الزمان والمكان. كما لا يمكنها المساعدة على التنبؤ بالظواهر المعقدة، وبدرجات متباينة من الصدق المنطقي كجل نظريات العلوم الاجتماعية.

في ضوء ما سبق، فالأمثلة التي نعالجها في هذه الدراسة هي نتيجة دراسة ميدانية كيفية، حاولنا من خلالها دراسة عينة من الشباب في مدينة الدار البيضاء، وبشكل خاص ممارسي فنون الشارع والتي كشفت لنا عن العديد من التمظهرات التي لم تسعفنا فيها نظرية التفاعل الرمزي. لأن البنية المجتمعية هي المتحكمة عبر المراقبة السائلة بلغة سيغمونت باومان (Bauman) في جل هذه التمظهرات سواء على مستوى الممارسة أو على مستوى الخطاب اليومي الذي يؤشر على إعادة الإنتاج كما تحدده نظرية التمايزات الاجتماعية لبيير بورديو (Bourdieu). فعندما نلاحظ اثنوغرافيا بعض الممارسات ونستنطقها عبر المقابلات الفردية يبرز لنا "التناقض". فيما تعد ثقافة الشباب موضوعا محوريا في علم الاجتماع والثقافة، حيث تمثل مجموعة القيم والممارسات والرموز التي تميز الأجيال الشابة عن غيرها من الفئات العمرية. تتشكل ثقافة الشباب من خلال التفاعل المستمر بين الشباب والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية التي تؤثر عليهم. وتعتبر النظريات السوسيولوجية مثل النظرية التفاعلية الرمزية أداة فعّالة لفهم كيفية بناء الشباب لهويتهم وثقافتهم من خلال الرموز والتفاعلات اليومية.

إن فن الشارع هو وسيلة تعبير قوية بين الشباب، حيث يستخدم الفنانون الرموز والصور لنقل رسائلهم وتجاربهم. ووفقا لهربرت بلومر، وهو أحد أبرز منظري التفاعلية الرمزية، تعتبر الرموز أدوات حيوية للتواصل الاجتماعي. كما يعتبر الشباب فن الشارع وسيلة لتعزيز هويتهم الشخصية والاجتماعية. يتحدث إرفينغ غوفمان (Goffman, 1959, p. 22) عن كيفية بناء الأفراد لهوياتهم من خلال الأداء الاجتماعي. ويشير غوفمان إلى أن الأداء الذي يقدمه الأفراد يعكس ويرسخ هويتهم الاجتماعية. فالشباب يعتبرون أن ممارساتهم تلك هي لغة تقطع مع ثقافة الكبار، وتبحث عن الانعتاق والتحرر من كل السلط التي يمارسها المجتمع في حين أن ربط ذلك بالسياق العام يكشف لنا أن ما يعتبره بعض الشباب قطيعة مع الثقافة التقليدية ما هو إلا إعادة انتاج للوضعيات التي يفرضها الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. وعلى سبيل المثال: فإذا قرر أحد هؤلاء الشباب الزواج فإنه يمارس نفس الطقوس التي يفرضها النسق المجتمعي بتقاليدها واعرافها دونما أي قطع أو تجاوز. وهنا تقف التفاعلية الرمزية عاجزة عن فهم وتفسير هذا الواقع في ارتباطه بمحددات ثقافية كبرى تتجاوز الفرد وتفرضها الجماعة عبر قواعد عامة تضمن التماسك الاجتماعي.

وبشكل عام، توفر نظرية التفاعل الرمزي إطارا مفيدا لفهم التفاعلات الاجتماعية والثقافية، تتميز النظرية التفاعلية الرمزية بكفاءتها في تفسير عدد من الظواهر الاجتماعية عبر: تفسير السلوك اليومي حيث تتيح هذه النظرية فهما عميقا للسلوك اليومي للأفراد من خلال التركيز على التفاعلات الرمزية الصغيرة التي تبنى من خلالها المعاني. على سبيل المثال، يمكن

تحليل كيفية تشكيل الهويات الشخصية والاجتماعية من خلال التفاعل مع الآخرين وتبني الأدوار المختلفة. كما تعين على فهم الهويات الاجتماعية بحيث تسهم النظرية في فهم كيفية تشكل الهويات الاجتماعية من خلال التفاعلات المستمرة والرموز المشتركة، مثل فهم الهوية الجندرية والعرقية والاجتماعية.

إن التفاعلات اليومية تلعب دورا كبيرا في تشكيل ثقافة فن الشارع. ويوضح جورج هربرت ميد (Mead) أن الهوية الذاتية تتشكل وتتطور من خلال التفاعلات الاجتماعية. يقول ميد: "يتم تشكيل الذات من خلال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين (Mead, 1934, p. 135)"، من جهة اخرى فان الشارع غالبًا ما يعكس القضايا الاجتماعية والسياسية التي تهم الشباب. يشير هوارد بيكر Becker, " إلى أن الفئات المهمشة تستخدم الفنون كتعبير عن مقاومة ومعارضة الهيمنة الثقافية السائدة. يقول بيكر: "الفنون تعتبر وسيلة للمجتمعات المهمشة للتعبير عن رفضها للأنظمة الاجتماعية القائمة". (Becker, 1963, p. 79)

1. الجانب النظري أو المفاهيمي في الدراسة

كتب بيير بورديو (Bourdieu) قائلاً: "السوسيولوجيا والفن ثنائي غريب". فالفن يميل إلى الثورة ضد صور العالم العلمية، بينما تميل السوسيولوجيا إلى النجاح والازدهار عبر فك ألغاز ما يسحر في الحياة الاجتماعية. يميل الفن إلى الثورة ضد الشروح المادية للحياة، في حين أن السوسيولوجيا تميل للإثارة من خلال عرض ما هو مفرد وفريد كمكون اجتماعي وإنتاجه المعاد اجتماعياً (أوستن، 2014، ص 29).

يهدف هذا البحث إذن إلى دراسة كفاءة نظرية التفاعل الرمزي، وإبراز حدودها التفسيرية من خلال دراسة ميدانية حول ثقافة الشباب الحضري الممارس لفنون الشارع في المغرب. نعتمد في هذا البحث على مقاربة انعكاسية تسعى إلى فحص الحدود التي حالت دون تقديم فهم أعمق لثقافة الشباب. حيث شير الانعكاسية إلى دور الباحثين في علم الاجتماع باعتبارهم مشاركين في المجتمعات المحلية والثقافات التي يدرسونها، وأهمية الوعي بالمسافة والتحيزات التي يمكن أن تؤثر على الدراسات والبحوث. كما يهدف هذا البحث إلى دراسة كفاءة وحدود نظرية التفاعل الرمزي في تفسير ثقافة الشباب الحضري وفنون الشارع في المغرب، مع التركيز على كيفية استخدام هذه النظرية لفهم التفاعلات اليومية والخطابات التي تشكل هوية الشباب الحضري. يقدم البحث تحليلاً شاملاً للأهداف العلمية والنقدية التي ترتبط بدراسة هذه الظواهر الاجتماعية والثقافية، ويعالج الدوافع الكامنة وراء اختيار هذا الإطار النظري.

1.1- فهم السياق الثقافي والاجتماعي للشباب الحضري الممارس لفنون الشارع بالدار البيضاء في المغرب

يسعى البحث إلى تقديم فهم معمق للسياق الذي يعيش فيه الشباب الحضري في المغرب، مع التركيز على كيفية تشكل هوياتهم من خلال التفاعلات اليومية والخطابات المستخدمة في الحياة اليومية. يهدف إلى تحليل تأثير البيئة الحضرية على ممارسات الشباب وثقافتهم الفنية، وكيفية استجابتهم للتحديات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تواجههم. كما يهدف إلى استكشاف الأشكال المختلفة لفنون الشارع التي يمارسها الشباب الحضري في المغرب، مثل الجرافيتي، الهيب هوب، الرقص، والموسيقى. يسعى إلى فهم الدوافع والرسائل الكامنة وراء هذه الفنون وكيفية تعبير الشباب عن أنفسهم من خلالها. يتناول البحث أيضًا كيفية استخدام هذه الفنون كوسيلة للتعبير عن الهوية والاحتجاج والمقاومة ضد الظروف الاجتماعية والسياسية.

2.1- تطبيق نظرية التفاعل الرمزي في سياق الدراسة

نظرية التفاعل الرمزي هي إطار نظري يركز على الرموز والخطابات اليومية كوسائط لتفاعل الأفراد وتكوين المعاني الاجتماعية. تعتمد النظرية على الفكرة الأساسية التي تقول إن الرموز والرموز الاجتماعية تؤثر في سلوك الفرد وتشكيل هويته وتفاعله الاجتماعي. وتحاول النظرية فهم كيفية استخدام وتفسير هذه الرموز في سياقات متنوعة ومتعددة الثقافات.

في سياق الدراسة يشكل استخدام نظرية التفاعل الرمزي إطارًا نظريًا مفيدًا لفهم الظواهر الثقافية والاجتماعية للشباب الحضري في المغرب. يهدف البحث إلى تحليل كيفية تأثير الرموز والرموز الاجتماعية الموجودة في بيئاتهم الحضرية على تكوين هويتهم الشخصية وتشكيل تفاعلهم الاجتماعي. علاوة على ذلك، يسعى البحث إلى فهم كيفية يمكن لهذه النظرية أن تساعد في تحليل تفاعل الشباب مع القيم والمعتقدات والتوجهات الثقافية السائدة في مجتمعهم الحضري.

ومن خلال الاستنتاجات التي يمكن الحصول عليها من هذه الدراسة، يمكن توجيه سياسات وبرامج توعية وتطوير ثقافي تستهدف الشباب الحضري في المغرب، بحيث تعزز فهمهم للرموز الثقافية وتشجعهم على تفاعل إيجابي مع تلك الرموز في بيئاتهم الحضرية. كما يمكن لهذه الدراسة أيضًا أن تساهم في تطوير نظريات جديدة أو تعديل النظريات الحالية في مجال علم الاجتماع والثقافة، مما يسهم في تعميق فهمنا لديناميات التفاعل الاجتماعي في البيئات الحضرية المتعددة الثقافات.

2. الإطار النظري والمنهجي

2.1. التفكير الانعكاسي باعتباره منهجا نقديا للبحث

التفكير الانعكاسي هو عملية مراجعة وتقييم التجربة البحثية بشكل نقدي، مما يساعد الباحث على فهم نقاط القوة والضعف في العمل البحثي، وتعلم الدروس المستفادة لتحسين الممارسات المستقبلية. في هذه الفقرة، سأستعرض تجربة بحثية مفترضة حول كفاءة وحدود نظرية التفاعلية الرمزية في علاقتها بثقافة الشباب، وأتأمل في جوانب مختلفة من هذه التجربة.

فالتفكير الانعكاسي النقدي هو عملية تحليل وتقييم الذات والنظريات التي يستخدمها الباحثون لفهم المجتمع. يمكن أن يساعدنا هذا النهج في دراسة كفاءة وحدود نظرية التفاعل الرمزي من خلال تقديم نقد بنّاء وتوجيه الأبحاث المستقبلية. نمكن أن يساعد التفكير الانعكاسي الباحثين على دمج التفاعلات الرمزية ضمن السياقات الاجتماعية الأوسع. على سبيل المثال، يوضح أنتوني غيدنز (Giddens) كيف أن هذا النهج يمكن أن يكشف الهياكل الاقتصادية والسياسية التي تؤثر على التفاعلات الفردية (Giddens, 1991, p. 35). واحدة من النقاط الحرجة في دراسة نظرية التفاعل الرمزي هي النزعة الذاتية المتأصلة في التحليل. يجادل نوربرت إلياس (Elias) بأن التفكير الانعكاسي يساعد في تحدي هذه النزعة من خلال تقديم منظور أوسع وأكثر شمولية. يقول إلياس: "النقد الانعكاسي يمكن أن يساعد في تصحيح النزعة الذاتية للنظرية عن طريق إدراج عوامل اجتماعية أوسع في التحليل". (Elias, 1991, p. 56)

من جهته قدم بيير بورديو (Bourdieu) تحليلاً عميقاً للتفاوتات الاجتماعية وكيفية تأثيرها على التفاعلات الرمزية والمعاني الاجتماعية. يستخدم بورديو مفهوم التفكير الانعكاسي لتوضيح كيفية تداخل الهياكل الطبقية مع الإنتاج الثقافي والمعاني الرمزية التي يتداولها الأفراد في المجتمع. فهو يوضح أن الذوق والتفضيلات الثقافية ليست مجرد خيارات شخصية، بل هي نتاج

لعمليات اجتماعية معقدة تتداخل فيها السلطة والهيمنة الطبقية. بعبارة أخرى، الذوق الشخصي يعكس موقع الفرد في الهرمية الاجتماعية، حيث يُستخدم الذوق كأداة لتمييز الطبقات وتعزيز الفروقات الاجتماعية. (Bourdieu, 1984, p. 78)

من خلال التفكير الانعكاسي، يمكن فهم كيفية تأثير البنية الطبقية على كيفية تفسير الأفراد للعالم من حولهم وكيفية تفاعلهم مع الآخرين. فالأذواق والتفضيلات ليست محايدة بل تتشكل ضمن سياق اجتماعي وسياسي معين، مما يعزز الفوارق بين الطبقات الاجتماعية. وبذلك، يساهم بورديو في كشف النقاب عن العمليات الخفية التي تُعيد إنتاج التفاوتات الاجتماعية عبر الأجيال من خلال الأنماط الثقافية والرمزية. بهذا الأسلوب، يُظهر بورديو أن الذوق ليس مجرد مسألة فردية، بل هو ساحة للصراع الطبقي، حيث تسعى الطبقات المختلفة إلى تمييز نفسها عن بعضها البعض من خلال ممارساتها الثقافية. هذا الفهم يُساعد في توضيح كيف تُستخدم الثقافة كأداة للسلطة والتمييز الاجتماعي، مما يُعزز الهياكل الاجتماعية القائمة ويُعيد إنتاجها باستمرار.

يحتاج الباحثون إلى وعي انعكاسي بتأثيرهم على موضوعات الدراسة، واستحضار الوضعية الأخلاقية التي تتطلب دوراً محايداً. إن النقد المعتمد في التفكير الانعكاسي يوجهه الباحث لذاته من خلال إعادة التفكير في وضعيته الإثنوغرافية كملاحظ لمجتمع البحث. يسعى هذا النقد إلى تبيان وإظهار المنزلقات والآليات الأساسية التي تساهم في إنتاج المعرفة السوسيولوجية، مما يعزز من فهمنا العميق للظواهر الاجتماعية ويطور مناهج البحث لتكون أكثر شمولية ودقة.

2.2. الأهداف النقدية: تقييم حدود نظرية التفاعل الرمزي وتسليط الضوء على الثقافة الفرعية للشباب

إننا نسعى من خلال تطبيق النظرية في سياق مختلف كحال المجتمع المغربي إلى تسليط الضوء على حدود هذه النظرية ومكامن قصورها التفسيرية عند التعامل مع ثقافات غير غربية. يسعى البحث إلى نقد النظرية واقتراح تعديلات أو إضافات بناءً على النتائج المستخلصة من الدراسة الميدانية، مما يمكن أن يساهم في تطوير النظرية لتكون أكثر شمولية وقدرة على تفسير تنوع الثقافات والممارسات. يشمل ذلك تحليل كيف يمكن لنظرية التفاعل الرمزي أن تتعامل مع السياقات الثقافية والاجتماعية التي تختلف بشكل كبير عن تلك التي تطورت فيها النظرية.

يصبو البحث إلى تقديم فهم أعمق للثقافة الفرعية التي تشكل جزءًا كبيرًا من حياة الشباب الحضري، والتي غالبًا ما يتم تهميشها أو عدم دراستها بشكل كافٍ. يهدف إلى كشف الديناميات الداخلية لهذه الثقافة وكيفية تفاعلها مع المجتمع الأكبر. يتناول البحث كيفية تأثير هذه الثقافة الفرعية على تشكيل هوية الشباب وعلى نظرتهم للعالم ولمكانتهم فيه. ويسعى البحث إلى إثراء الأدبيات الأكاديمية المتعلقة بدراسات الشباب الحضري وفنون الشارع في السياق المغربي. من خلال تقديم نتائج بحثية تعتمد على منهجيات تحليلية وميدانية متعمقة، يسعى البحث إلى تقديم إسهامات علمية يمكن أن تكون مفيدة لصناع السياسات، المربين، والعاملين في مجال الشباب والثقافة. يهدف البحث إلى تقديم توصيات مبنية على الأدلة حول كيفية دعم وتعزيز ممارسات الشباب الفنية والثقافية في المدن المغربية.

كما يستجيب البحث لنقص الدراسات التي تتناول ثقافة الشباب الحضري وفنون الشارع في المغرب من منظور التفاعل الرمزي. يهدف إلى تقديم رؤى جديدة ومعمقة حول هذه الظواهر، مما يساهم في فهم أفضل للديناميات الاجتماعية والثقافية التي تؤثر على الشباب الحضري. من خلال التركيز على سياق محدد وغير مدروس بشكل كافٍ، يسعى البحث إلى ملء فجوة في الأدبيات الأكاديمية وتقديم إسهامات جديدة ومبتكرة. وتعزيز الفهم الثقافي والاجتماعي لممارسات الشباب في المدن المغربية.

يهدف إلى تطوير برامج ومبادرات تعزز من مشاركة الشباب وإبداعهم، من خلال تقديم توصيات مبنية على الفهم العميق للتفاعلات الثقافية والاجتماعية وكيفية تأثير البيئة الحضرية على ممارسات الشباب وكيفية تفاعلهم مع التحديات والفرص التي توفرها المدينة.

تستخدم الدراسة أدوات منهجية متنوعة تجمع بين التحليل النوعي والميداني، مما يساهم في تقديم صورة شاملة وعميقة عن موضوع الدراسة. يسعى البحث إلى تقديم منهجية متكاملة تجمع بين تحليل النصوص، المقابلات، والملاحظة الميدانية لفهم الوقائع المدروسة بشكل شامل، كما يهدف إلى تطوير إطار منهجي يمكن استخدامه في دراسات مستقبلية لفهم ثقافة الشباب الحضري في سياقات مختلفة.

في المجمل، يهدف هذا البحث إلى تقديم رؤية شاملة عن كفاءة وحدود نظرية التفاعل الرمزي في تفسير ثقافة الشباب الحضري وفنون الشارع في المغرب. من خلال دراسة التفاعلات اليومية والخطابات، يسعى البحث إلى تطوير فهم أعمق لكيفية تشكيل هوية الشباب الحضري ودور الفنون في هذا السياق. كما يهدف إلى نقد وتقييم حدود هذه النظرية في تفسير الظواهر الثقافية في سياق غير غربي، مما يساهم في تطوير المعرفة الأكاديمية وتقديم توصيات مفيدة لصناع القرار والمجتمع الأكاديمي حول كيفية التعامل مع هذه الظواهر الثقافية والاجتماعية بشكل أكثر فعالية.

2.3. الدراسات السوسيولوجية التي اهتمت بثقافة الشباب وموقع البحث ضمنها

اعتاد الباحثون في العلوم الاجتماعية على دراسة النظريات الكلاسيكية وتطبيقها في سياقات متجددة ومعقدة. وقد أدى العجز عن تطوير نظريات جديدة تتلاءم مع طبيعة كل مشكلة إلى تراكم صورة سلبية عن التنظير في العلوم الاجتماعية، مما انعكس على موثوقية نتائج الدراسات في هذا المجال. من هذه الإشكالية، نشأت فكرة هذا البحث الذي يهدف إلى تشجيع الباحثين على خوض غمار التنظير الإبداعي، وتبسيط مفاهيم التنظير ومهاراته للباحثين في الحقل السوسيولوجي ينطلق هذا البحث من مسلمة أساسية: الإيمان بأن التنظير ملكة اكتسابية يمكن للراغبين في البحث الاجتماعي تعلمها عبر اختبار النظريات السابقة في ابحاث ميدانية والوقوف عند جوانب كفاءتها ومحدودية تفسيراتها. الهدف من البحث هو توضيح كيفية تفعيل النظريات الاجتماعية عبر تطبيقها في أبحاث ميدانية واقعية. من خلال هذا النهج، يمكن للباحثين تقييم مدى كفاءة النظريات المختلفة في تفسير الظواهر الاجتماعية المتنوعة، واكتشاف نقاط قوتها وضعفها. هذه العملية تسهم في تطوير النظريات وجعلها أكثر دقة وملاءمة للواقع الاجتماعي. حيث يشير بيير بورديو (Bourdieu) إلى أن التنظير يمكن أن يكون عملية مستمرة من البناء والتحليل النقدي للنظريات الموجودة. يؤكد بورديو أن "النظرية هي نتاج لعملية بحث مستمرة، وليست حقيقة ثابتة" (Bourdieu, 1984, pp. 12-15). من جهة أخرى، يرى أنطوني جيدنز (Giddens) أن التنظير يتطلب مهارات تحليلية وقدرة على تطبيق المفاهيم المجردة على الوقائع الاجتماعية الملموسة. ويشير جيدنز إلى أن "القدرة على التنظير هي ما يميز الباحث الجيد عن الملاحظ العادي (Giddens , 1984, pp. 21-24). إن اختبار النظريات الاجتماعية في أبحاث ميدانية يسمح للباحثين بفحص مدى ملاءمة النظريات المختلفة للواقع الاجتماعي. على سبيل المثال، قد تكون نظرية التفاعل الرمزي (Symbolic Interactionism) مناسبة لتحليل التفاعلات اليومية بين الأفراد، بينما تكون النظرية البنائية (Constructivism) أكثر ملاءمة لدراسة كيفية بناء الواقع الاجتماعي من خلال اللغة والخطاب.

ويشير عالم الاجتماع مايكل بورواي (Burawoy) إلى أن الأبحاث الميدانية تمكن الباحثين من "اختبار النظريات في سياقاتها الحقيقية، مما يساعد على تحسين دقتها وزيادة فعاليتها". ويؤكد بورواي أن "التفاعل المباشر مع الواقع الاجتماعي يمكن أن يكشف عن حدود النظرية ويوفر فرصاً لإعادة صياغتها وتطويرها" (Burawoy, 2009, pp. 32-35)

لقد درست ثقافة الشباب بشكل واسع في العديد من البحوث عبر تخصصات متنوعة مثل علم الاجتماع، وعلم النفس، والثقافة الشعبية، والتربية، والإعلام. نستعرض هنا بعض الدراسات البارزة في هذا المجال:

الدراسة الأولى تحت عنوان: ثقافة الشباب الهوية في عالم ما بعد الحداثة لـ جون سافاج (Savage)

تستكشف هذه الدراسة تطورات ثقافة الشباب وتحولاتها عبر العقود، مسلطة الضوء على تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية عليها. يقدم سافاج تحليلاً معمقاً لكيفية تشكل هوية الشباب في عالم ما بعد الحداثة، مشيراً إلى التغيرات الديناميكية التي تتعرض لها ثقافة الشباب بسبب التغيرات المجتمعية. (Savage, 2007, p. 78)

دراسة اخرى بعنوان الثقافات الفرعية: الأساسيات روس هاينفلر (Haenfler) يقدم هاينفلر نظرة شاملة على الثقافات الفرعية التي يتبناها الشباب كوسيلة للتعبير عن هويتهم والتمييز عن الثقافة الرئيسية، مثل ثقافة الهيب هوب والبانك والجوانج. يوضح الكتاب كيف تُستخدم هذه الثقافات الفرعية كأدوات للمقاومة الاجتماعية وللتعبير عن الذات. (Haenfler, 2013, p. 45)

ثقافة الشباب والرياضة: الهوية، السلطة، والسياسة مايكل جاردينا (Giardina) هي دراسة تركز هذه الدراسة على العلاقة بين ثقافة الشباب والرياضة، وكيف يستخدم الشباب الأنشطة الرياضية لبناء هويتهم والتفاعل مع المجتمع. يبين جاردينا كيف تساهم الرياضة في تشكيل الهويات الشبابية وتعزيز العلاقات الاجتماعية والسياسية (Giardina, 2010, p. 102).

في دراسة اخرى هامة تحت عنوان الشباب الرقمي: دور وسائل الإعلام في التطور، كافيري سوبراهمانيام و ديفيد شماهيل (Subrahmanyam & Šmahel) تستكشف هذه الدراسة دور وسائل الإعلام الرقمية مثل الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي في تشكيل ثقافة الشباب وتأثيرها على تطور هويتهم وسلوكهم الاجتماعي. يناقش المؤلفان كيف تُحدث التكنولوجيا الرقمية تحولات في طريقة تواصل الشباب وتفاعلهم مع العالم. (Subrahmanyam and Šmahel , 2011, p. 67)

تأتي دراسة أخرى بعنوان ثقافات الشباب في أمريكا سايمون ج. برونر(Bronner) لتقدم هذه الدراسة نظرة عامة على ثقافة الشباب في أمريكا، وتستعرض تطوراتها وتأثيرها على المجتمع الأمريكي في مختلف المجالات مثل الموضة والموسيقى والسلوك الاجتماعي. يسلط برونر الضوء على كيفية تشكل ثقافة الشباب الأمريكية وتأثيرها المتبادل مع الثقافة السائدة. (Bronner, 2016, p. 123)

إلى جانب اختبار النظريات، يلعب النقد والتقييم دورا حيويا في تطوير النظريات الاجتماعية. من خلال التعرف على نقاط القوة والضعف في النظريات الموجودة، يمكن للباحثين العمل على تحسينها وتوسيع نطاق تفسيراتها. يشير عالم الاجتماع كريستوفر ألكسندر (Alexander) إلى أن "النقد البناء للنظريات هو السبيل إلى تعزيز فهمنا للظواهر الاجتماعية المعقدة". بالتالي، فإن العملية النقدية لا تقتصر على تفكيك النظريات، بل تشمل أيضاً تقديم اقتراحات بناءة للتطوير والتحسين. يؤكد ألكسندر أن "النقد هو جزء أساسي من عملية البحث العلمي، وهو ما يمكن الباحثين من تحقيق تقدم مستمر في فهمهم للعالم الاجتماعي. (Alexander, 1964, pp. 45-48)

3. أهمية البحث وراهنيته

إن تناول هذه الدراسات يسهم في تعزيز فهمنا لثقافة الشباب من زوايا متعددة، مما يتيح لنا تقدير تعقيداتها وتأثيراتها على الهوية والسلوك الاجتماعي. يسعى هذا البحث إلى الاستفادة من هذه الرؤى المتنوعة لدفع حدود التنظير الاجتماعي، وتشجيع الباحثين على تطوير نظريات جديدة تتلاءم مع التغيرات السريعة في المجتمعات المعاصرة. من خلال تقديم أساليب عملية للتنظير، يهدف البحث إلى تعزيز قدرات الباحثين على تفسير الظواهر الاجتماعية بشكل أكثر دقة وإبداعية مع اعتماد التفكير الانعكاسي للاستفادة من كفاءة النظرية الاجتماعية والوقوف عند حدودها.

4. النتائج ومناقشتها

4.1. الحدود التفسيرية للنظرية في سياق دراسة ثقافة الشباب

عند بدء البحث، كان الهدف الرئيسي هو تقييم مدى كفاءة نظرية التفاعلية الرمزية في تفسير الظواهر المرتبطة بثقافة الشباب، مثل استخدام الرموز في بناء الهوية والتفاعل الاجتماعي. قمنا بتصميم الدراسة باستخدام نهج مختلط يجمع بين الطرق النوعية والكمية، مما سمح لنا بجمع بيانات متنوعة من خلال المقابلات المعمقة، والملاحظات الميدانية، والاستبيانات.

خلال جمع البيانات، واجهنا تحديات تتعلق بتنوع العينة وضمان شمولية النتائج. على الرغم من أننا اخترنا مجموعة متنوعة من الشباب من خلفيات اجتماعية وثقافية واقتصادية مختلفة، إلا أن بعض الفئات كانت أقل تمثيلاً، مما قد يؤثر على تعميم النتائج. كانت المقابلات المعمقة والملاحظات الميدانية مفيدة جدًا في الحصول على رؤى عميقة، بينما ساعدت الاستبيانات في تحديد الأنماط العامة. في مرحلة تحليل البيانات، استخدمنا تقنيات تحليل المضمون للتحليل النوعي، والتحليل الإحصائي للتحليل الكمي. كان التحدي هنا هو دمج النتائج من التحليلين المختلفين بشكل متماسك يوفر صورة شاملة للموضوع. أظهرت النتائج أن النظرية التفاعلية الرمزية كانت فعالة في تفسير بعض جوانب ثقافة الشباب، مثل استخدام الرموز في التفاعل اليومي، لكنها كانت أقل كفاءة في تفسير الظواهر الاجتماعية الكبرى وتأثير القوى الاقتصادية والسياسية.

من خلال التفكير الانعكاسي، تبين أن تصميم الدراسة كان قويا في بعض الجوانب، مثل جمع البيانات النوعية التي قدمت رؤى عميقة ومفصلة. ومع ذلك، كانت هناك نقاط ضعف في تمثيل العينة وفي دمج البيانات الكمية والنوعية بشكل فعال. تعلمنا أن استخدام نهج أكثر توازنًا في جمع البيانات والتأكد من تمثيل جميع الفئات بشكل كاف يمكن أن يحسن من شمولية النتائج. بناءً على هذه التجربة، نوصي بتوسيع نطاق العينة في البحوث المستقبلية لتشمل تمثيلاً أفضل لجميع الفئات الشبابية. كما نقترح تحسين طرق دمج التحليل النوعي والكمّي لضمان تقديم صورة أكثر تكاملًا وشمولية للظواهر المدروسة. كذلك، يمكن تعزيز الدراسة بدمج نظريات أخرى لتفسير الظواهر الاجتماعية الكبرى التي قد تكون النظرية التفاعلية الرمزية غير كافية لتفسيرها بمفردها.

التفكير الانعكاسي في التجربة البحثية أتاح لنا فرصة لتقييم العمل بشكل نقدي، والتعرف على نقاط القوة والضعف، والتعلم من الأخطاء لتحسين الممارسات المستقبلية. يعد هذا النوع من التفكير جزءًا لا يتجزأ من عملية البحث، حيث يساعد الباحثين على تطوير نهجهم وتحقيق نتائج أكثر دقة وشمولية. ومن خلال التحليلات التي اسعفتنا بها النظرية وأيضا الدور

الذي تلعبه في البحوث النوعية حيث تستخدم النظرية التفاعلية الرمزية على نطاق واسع في البحوث النوعية لفهم التجارب الشخصية والعلاقات الاجتماعية من وجهة نظر الأفراد أنفسهم، مما يوفر رؤى عميقة حول كيفية بناء المعاني في سياقات مختلفة. ولكنها تعاني من بعض القيود التي يجب أخذها في الاعتبار عند تطبيقها وتفسير نتائجها خاصة في سياقنا العربي عامة والمغربي بشكل خاص وما يعيشه من تحولات اجتماعية وسياسية وثقافية تتطلب الاستفادة من التراكم النظري للعلوم الاجتماعية والاجتهاد في انتاج نظريات قادرة على فهم وتفسير الواقع. ورغم كفاءتها، تواجه النظرية التفاعلية الرمزية بعض الحدود التفسيرية حيث تركز النظرية بشكل كبير على التفاعلات الصغيرة والرموز، مما قد يجعلها غير كافية لتفسير الظواهر الاجتماعية الكبرى والبنية الاجتماعية الواسعة. فهي قد تكون غير فعّالة في تحليل الهياكل الاجتماعية الكبرى مثل الطبقات الاجتماعية والأنظمة الاقتصادية والسياسية.

أحد الانتقادات الرئيسية للتفاعلية الرمزية هو تركيزها الأساسي على التفاعلات الصغيرة النطاق، مما يجعلها أقل فاعلية في تحليل البنى الاجتماعية الأكبر. ينتقد إرفينغ غوفمان هذا التركيز مشيرا إلى أن النظرية تميل إلى تجاهل السياقات الاجتماعية الأوسع التي تؤثر على التفاعلات. يقول غوفمان: "تميل التفاعلية الرمزية إلى التركيز بشكل مفرط على التفاعل اليومي، متجاهلة البنى الأكبر التي تشكل هذه التفاعلات". (Goffman, 1974, p. 13)

وغالبا ما تُتهم النظرية بتجاهل دور القوة والصراع في تشكيل العلاقات الاجتماعية والمعاني. فعلى سبيل المثال، قد تغفل النظرية كيفية تأثير العلاقات القوية غير المتكافئة على تشكيل المعاني والرموز. يُلاحظ أن التفاعلية الرمزية تفتقر إلى الاهتمام بالتحليل الهيكلي والقوى الاقتصادية والسياسية التي تؤثر على الأفراد. يشير بيتر بيرغر وتوماس لوكمان إلى أن النظرية تفتقر إلى الأدوات اللازمة لتحليل الهياكل الاجتماعية الكبرى وتأثيراتها على التفاعلات الفردية. يقول بيرغر ولوكمان: "التفاعلية الرمزية تركز على المعاني الفردية، لكنها تفتقر إلى فهم العوامل الهيكلية التي تشكل هذه المعاني" (Berger & Luckmann, 1966, p. 32).

تواجه النظرية تحديات في القياس والتعميم بسبب تركيزها على التفاعلات النوعية الصغيرة. هذا يمكن أن يصعب عملية التحقق من النتائج وتعميمها على نطاق أوسع. فعلى سبيل المثال تواجه التفاعلية الرمزية أيضًا انتقادات لتجاهلها التفاوتات الاجتماعية مثل الطبقة، العرق، والجنس. يشير جيروم مانيس (Manis) إلى أن النظرية تميل إلى تجاهل كيفية تأثير هذه التفاوتات على التفاعلات الاجتماعية. يقول مانيس: "تتجاهل التفاعلية الرمزية كيف أن الفروق الاجتماعية كالعرق والجنس يمكن أن تؤثر على التفاعلات والمعاني التي يتم إنشاؤها". (Manis, 1976, p. 45)

تظل النظرية التفاعلية الرمزية أداة مهمة في علم الاجتماع لفهم كيفية بناء الأفراد للمعاني والتفاعل مع عالمهم الاجتماعي من خلال الرموز. ورغم كفاءتها في تفسير السلوك اليومي والهويات الشخصية والاجتماعية، فإنها تواجه تحديات فيما يتعلق بتفسير الظواهر الاجتماعية الكبرى ودور القوة والصراع في العلاقات الاجتماعية. لذا، يتعين على الباحثين استخدام هذه النظرية بشكل تكاملي مع نظريات أخرى للحصول على صورة شاملة ودقيقة للواقع.

5. الخروج من مأزق تفسير الوحدات الصغرى لفهم العلاقات السببية الكبرى لتفكيك فن الشارع

فهم العلاقات السببية الكبرى في المجتمع يتطلب تحليل عوامل متعددة على المستوى الكبير، مثل الهياكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. يمكن استخدام الوحدات الكبرى في النظرية الاجتماعية، مثل المؤسسات والنظم الاجتماعية، لفهم هذه العلاقات. على سبيل المثال، يمكن أن تؤثر هياكل السلطة والتوزيع الثروة على الظواهر الاجتماعية الكبرى مثل الطبقات الاجتماعية والانحرافات الاجتماعية. بالتحليل العميق لهذه العلاقات، يمكن فهم الأسباب والآثار الكبرى على المجتمع.

في علم الاجتماع، يمكن فهم فن الشارع وثقافة الشباب الحضري من خلال عدة نظريات كالبنيوية التوليدية لبيير بورديو. على سبيل المثال، لتفسر كيف يستخدم الشباب الحضري الأماكن العامة مثل الشوارع والجدران للتعبير عن هويتهم ومشاعرهم من خلال الفن. أما نظرية "التفاعل لرمزي"، فتشير إلى كيفية استخدام الرموز والرسومات في الفن الشارع للتعبير عن قضايا اجتماعية وسياسية. على سبيل المثال، فنانو الشارع يستخدمون الجدران لنقل رسائل عن المساواة، الحقوق، أو الحرية.

أما بالنسبة للأمثلة، يمكننا النظر إلى فناني الشارع مثل بانكسي (Ellsworth-Jones, 2013)، الذي يستخدم أساليبه الفنية للتعبير عن الظلم الاجتماعي والسياسي. كما يمكن النظر إلى ثقافات الشباب في المدن الكبرى مثل نيويورك أو برلين، حيث يتم استخدام الفن الشارع كوسيلة للتعبير عن هويتهم الفردية والجماعية، وكذلك للتفاعل مع المساحات العامة وإضفاء الحياة عليها . ان فن الشارع، برغم بساطته الظاهرية، يحمل في طياته تعقيدات اجتماعية وثقافية تجعله موضوعاً مثيراً للاهتمام في دراسات علم الاجتماع المعاصر. يعزو بعض العلماء الاجتماعيين استخدام الأماكن العامة في الفن الشارع إلى نظرية بورديو البنيوية، التي تقول إن الفرد يتفاعل مع بيئته الاجتماعية ويشكل هويته من خلال هذا التفاعل. على سبيل المثال، يشير جيف فيرك في كتابه *Street Art, Public City: Law, Crime and the Urban Imagination* (Ferrell, 2014) إلى كيفية استخدام الشباب الحضري للشوارع والجدران للتعبير عن هويتهم ومشاعرهم الداخلية، وهو ما يتماشى مع مفاهيم بورديو.

من ناحية أخرى، تركز نظرية "التفاعل الرمزي" على استخدام الرموز والرسومات في الفن الشارع للتعبير عن القضايا الاجتماعية والسياسية. يشير ميشال دو كريوف (de Certeau, 1984) في كتابه *The Production of Space* إلى كيفية استخدام الفنانين الشارع للجدران كوسيلة لنقل رسائل عن المساواة، الحقوق، والحرية. هذا يوضح كيف يمكن للفن الشارع أن يكون له تأثير عميق على الوعي الاجتماعي والسياسي في المجتمعات المعاصرة. وبالنظر إلى هذه النظريات والتحليلات، ندرك أن فن الشارع ليس مجرد أعمال فنية جميلة على الجدران، بل يعكس تفاعلات معقدة بين الفرد والمجتمع، ويعبر عن قضايا اجتماعية وسياسية تعكس التحديات والتغيرات في العالم المعاصر.

6. تأويل نتائج الدراسة من منظور انعكاسي لتيبان كفاءة وحدود نظرية التفاعل الرمزي في دراسة ثقافة الشباب الحضري الممارس لفنون الشارع

بعد تحليلنا لنتائج البحث الميداني يمكن القول إن التعبيرات الفنية الشبابية حسب الفئة المبحوثين، مرتبطة بخصوصية السياق السياسي والاجتماعي والاقتصادي المنبثقة منه، "وهو وليدة ثقافة الشارع، والتي تطرح تجددا في مستوى المفهوم و الممارسة والأهداف و القضايا التي يعالجها والرسالة التي يحملها، وطرق إيصالها إما بشكل معلن أو خفي إلى جانب معجمه

اللغوي الرمزي وطابعه المتمرد، وهو ما يجعل الشباب ممارسي فن الشارع لا يتفقون بدورهم حول مفهوم محدد له ، و إنما لكل منهم تمثله الخاص يستقي على ضوئه عمله الفن" (بن منصور، 2019).

من الناحية السوسيولوجية، يمكننا فحص فن الشارع كظاهرة اجتماعية تتفاعل مع البيئة الاجتماعية والثقافية والسياسية. يعكس فن الشارع تفاعلات معقدة بين الفرد والمجتمع، حيث يقوم الفنانون بتوظيف الأماكن العامة والجدران كوسيلة للتعبير عن هويتهم ومشاعرهم الداخلية. يتلاعب الفن الشارع بالمفاهيم الاجتماعية والسياسية ويعمل على تحويل الفضاء الحضري إلى منبر للرسالة والتعبير. ومن خلال التحليل السوسيولوجي، يظهر أن فن الشارع ينعكس فيه توزيع السلطة والهوية في المجتمع. يمكن أن يعبر الفن الشارع عن المقاومة والتحدي للهيمنة الثقافية السائدة، كما يمكن أن يعكس الفقر والظلم الاجتماعي. علاوة على ذلك، يساهم فن الشارع في بناء الهوية الجماعية وتعزيز الانتماء إلى مجتمعات معينة.

حيث يعد فن الشارع طريقة لرؤية وتأويل الفضاء العمومي الحضري بأسلوب ذكي عن القضايا الاجتماعية والسياسية لذلك من الأهمية بمكان التوقف عند علاقة الشباب بالتعبيرات الفنية الصاعدة وقد أشرنا بدءا إلى أن هذه الأخيرة هي مجموع الأنشطة التي يمارسها الفرد الاجتماعي كتعبيرات رمزية وهواياتية تختلف وتتنوع: كالعزف على الآلات الموسيقية، أو الغناء، أوالنحت، او الكتابة أو الرسم أو الحكي ...وغيرها. إنها بوجه عام تشير إلى تجليات الثقافة.تدخل هذه التعبيرات الفنية حسب الشباب المبحوثين ضمن" فنون الشارع "، وممارستهم تلك تعتمد على التواصل المباشر مع الناس من مختلف فئات المجتمع، والذهاب حيث يوجد ويجتمع الناس، حيث يتقاسم الشباب معهم موضوعات تمس العديد من القضايا الاجتماعية ويدعي ممارسوه انهم يسعون لمحاولة زيادة الوعي ببعض القضايا المجتمعية باعتبار أن الفضاء العمومي بشكل عام مكان للتبادل والمشاركة مع الآخرين في الحياة اليومية، كما أن التواجد في ساحات العمومية بمدينة الدار البيضاء بشكل خاص، فتح لبعض الشباب الممارسين فرصة تقديم أعمالهم الفنية، التي عادة ما يحرمون من تقديمها في أماكن مغلقة أو يصعب عليهم الوصول بها إلى جمهور صالات العرض الكلاسيكية.

يعتبر الشباب المبحوثين أن "فنون الشارع" في مدينة الدار البيضاء تشجع الأشخاص غير المتعودين على الذهاب إلى القاعات والصالات الكبرى لحضور العروض الفنية. كما أن تنظيم النشاطات الثقافية والعروض الفنية في الأماكن العامة يساعد على تحسين مستوى الإقبال على أشكال الفنون المتنوعة، وتبيّن أنه بقدر ما تأتي الثقافة إلى الناس بقدر ما يأتي الناس إلى الثقافة بشكل من التفاعل الذي يخلق دينامية تؤسس لتنمية الأفراد والجماعات في الأماكن العمومية. كما أن "فنون الشارع "هي وسيلة، تفتح للشباب مجالا للتعبير عن آرائهم التي تتعلق بالشأن العام المجتمعي، واسماع صوتهم للآخر في فضاء مفتوح، وهو الشيء الذي يجعلهم محط أنظار الجميع، في ظل أنهم يتخذون من الفضاءات العمومية ميدانا للتعبير عن هذه القضايا. تجد هذه المجموعات هامشا من الحرية لتحقيق ذاتها وتشكيل هويتها اجتماعيا سياسيا وثقافيا، حيث أصبح هذ الفضاء العمومي يشكل ركحا لهم، ويمكن القول إن تعبيرات فن الشارع، باتت تشكل ثقافة معاصرة لفئة عريضة من الشباب الحضري. حيث يمكن اعتبارها الأداة البديلة عن وسائل الاتصال للتعبير الحي بالنسبة لهذه الفئة التي تأثرت بشكل ملفت للانتباه بآليات التعبير البديلة التي استخدمت في العديد من البلدان الأخرى لخدمة قضايا اجتماعية وثقافية وسياسية. ما قبل وفيما بعد سنة 2011، باعتبارها مرحلة حاول خلالها الجيل الجديد من الشباب اقتراح بدائل مغايرة للتعبير في الأوساط الحضرية.

وهذا يحيل إلى منظور "التفاعلية الرمزية " الذي ينطلق من الذات وما تصدره من أفعال تساهم في التأثير في المحيط الإجتماعي. إن الوضعية التفاعلية بهذا المعنى وضعية لعب مسرحي مركزها الأداء المظهري والحركي والقولي في وضعية وجها لوجه مع الآخرين، على اعتبار أن الذات كيان اجتماعي ينبني من خلال عملية التفاعل الرمزي بين الذات والآخر، وهو ما يدفع كذلك إلى استدماج القيم والاتجاهات السائدة في الوسط الاجتماعي التفاعلي .من جهة أخرى يبدوا أن تلك التعبيرات الشبابية هي نمط من أنماط التنشئة الاجتماعية باعتبارها صيرورة ممتدات في مسار الحياة، حيث يختبر الشاب الممارس الأفكار التي يتمثلونها حول القضايا المجتمعية، ويختبر رؤوس أمواله الثقافية والمعرفية واللغوية والرمزية، وجها لوجه أمام الجماعة أي «الجمهور»، الذي يأتي اليه من اجل الفرجة بشكل عابر «ساحات العبور الشوارع»، بحمولات قيمية و هوياتية تفرض نفسها عليه.

إن وضعيات الشباب في ارتباطها بالثقافة الفرعية المخصوصة تشير إلى ما يعبر عنه كلارك بالمقاومة عبر الطقوس. لفهم ثقافة الشباب يؤكد أن الظروف المادية تفرض قيودا وحدودا على نوع الثقافات التي يوجدها الناس. فالأفراد يولدون ضمن ثقافة معينة وهذه الثقافة تميل إلى تشكيل الطريقة التي فيها يرى الأفراد العالم الاجتماعي. هذه الطريقة يسميها كلارك خارطة المعاني. غير أن هذه الأخيرة والثقافات المتصلة بها تتغير بفعل السيرورات التاريخية وبمدى فاعلية المجموعات الاجتماعية الأخرى في خلق وابتكار ثقافتها. هذه الجماعات الاجتماعية لا تستطيع خلق ثقافات جديدة حسب رغبتها. فالثقافات ترتبط دائما بالخبرات والظروف المادية وهي تتشكل على الدوام ولو جزئيا بالثقافات السابقة. كذلك فإن الثقافات توجد ضمن العلاقات التنظيمية لثقافة أخرى. ومن هنا فالثقافات الفرعية يقوم من خلالها الشباب بمحاولات جادة لكي يكسبوا الحرية ويحتفظوا بمساحة معينة إزاء الثقافة المسيطرة. وهؤلاء الشباب يحصلون على مساحة ثقافية ضمن المؤسسات والمناطق المجاورة، ويتمتعون بوقت حقيقي للتسلية ولهم جيز لا بأس به في زوايا الشوارع (هارلمبس وهولبورن، 2010، ص 39).

ارتباطا بالملاحظة المباشرة في علاقتها بالمحددات الاجتماعية للمبحوثين خاصة السن والمستوى الدراسي والشواهد المحصل عليها يبدون أن معظم الممارسات تحيل على امتداد الوقت الحر فحين يصبح الخطاب (مشحون بمقولات التغيير و الالتزام ...) تعكس الملاحظة المباشرة في علاقتها بالخطاب المقدم نقيض ذلك، حيث يصبح الدافع أحيانا هو جمع بعض النقود لتقديم الفرجة، ومن هنا تطرح ضرورة الاهتمام بسوسيولوجيا الوقت الحر، من اجل فهم هذه العلاقة الجدلية بين الممارسة و التنشيط الفني بالوقت الحر، و الاكراهات التي تفرضها "العطالة والبطالة "أحيانا «إن الوقت الحر هو أنشطة اختيارية بامتياز لكن إذا كان كل وقت هواية وقتا حرا فالعكس ليس صحيحا، إذ أن الوقت الحر دون ان يتحول الى واجب يمكن أن يخضع جزئيا لهدف نفعي أو الزامي فيأخذ طابع عمل إضافي، إنه وقت شبه Semi-loisir كما أن الأمر قد يلتبس علينا عندما يختار الفرد مهنة أو عملا يتماشى مع هوايته جزئيا أو كليا فيسقط ذلك التمييز بين وقت العمل واللاعمل. فإذا كان وقت العمل يتسم بالصرامة والاجبارية، فان أنشطة الوقت الخارج عن العمل او اللاعمل تتأرجح بين الاجبار و الاختيار (الزين، 1999، ص. 30)».

من هذا المنظور تنكشف الممارسات وتتنكشف تناقضاتها، فالوضعيات الملتبسة التي يعيشها الشباب تنطوي على طموحات العيش الكريم، المهنة، المكانة الاجتماعية ...، فالرأسمال الثقافي لا يكتسب بتسفيقات الجمهور، بل بالتراكم والاعتراف طويل الأمد وليس اللحظي. ان السوسيولوجيا في سعيها لفهم الظواهر لا تسعى لإصدار الأحكام والتعاطف والترافع

حول قضايا بعض الفئات، وانما لفهم منطوق المبحوثين والمعاني التي يضفونها على ممارساتهم في ارتباط وثيق بالملاحظة الخارجية للممارسات والسياقات حيث تنكشف في كثير من الحيان المقولات الجاهزة متناقضة مع الممارسات والخطابات المعبر عنها في المقابلات والتي يتم تجميعها عبر أدوات البحث. بوجه عام، يعتبر فن الشارع مرآة للمجتمع وأحد الوسائل التي يمكن من خلالها فهم الديناميات الاجتماعية والثقافية والسياسية في المجتمعات المعاصرة.

الخلاصة

في خاتمة هذه الدراسة، نعود لتقييم رحلة البحث التي قطعناها لفهم كفاءة وحدود نظرية التفاعلية الرمزية في تفسير ثقافة الشباب. من خلال هذه التجربة البحثية، تمكنا من استكشاف العوامل المتعددة التي تسهم في تشكيل الهوية والتفاعل الاجتماعي بين الشباب، وكيفية استخدامهم للرموز في بناء معانيهم الذاتية والاجتماعية.

لقد أظهرت النتائج أن نظرية التفاعلية الرمزية توفر إطارًا فعّالًا لفهم العديد من الجوانب الدقيقة للتفاعلات اليومية بين الشباب. من خلال التركيز على الرموز والمعاني المشتركة، تمكنا من تفسير كيفية تشكل الهويات الفردية والجماعية، وكيفية استخدام الشباب للغة، الموضة، والموسيقى كوسائل للتعبير عن الذات والانتماء. كانت هذه الجوانب مفيدة بشكل خاص في توضيح ديناميات التفاعل اليومي والمعاني المتبادلة بين الأقران. ومع ذلك، كشفت الدراسة أيضًا عن بعض الحدود التفسيرية للنظرية التفاعلية الرمزية. بينما نجحت النظرية في تقديم رؤى عميقة حول التفاعلات الصغيرة وبناء المعاني على المستوى الفردي، كانت أقل كفاءة في تفسير الظواهر الاجتماعية الكبرى والبنى الاجتماعية الواسعة. على سبيل المثال، تأثير العوامل الاقتصادية والسياسية على ثقافة الشباب يتطلب إطارًا نظريًا أكثر شمولية يأخذ في الاعتبار العلاقات القوية غير المتكافئة والأنظمة الهيكلية.

التحديات التي واجهناها خلال جمع البيانات وتحليلها أظهرت أيضًا أهمية التوازن بين النهج النوعي والكمّي. كان من الصعب دمج النتائج من كلا النهجين بشكل سلس ومتكامل، مما يشير إلى الحاجة إلى تطوير طرق أكثر فعالية للتعامل مع البيانات المختلطة. علاوة على ذلك، تبين أن تمثيل العينة كان يحتاج إلى تحسين لضمان شمولية النتائج وتعميمها على نطاق أوسع من الفئات الشبابية. من خلال التفكير الانعكاسي، تعلمنا أهمية التقييم النقدي لكل خطوة من خطوات البحث، من تحديد الأهداف إلى جمع البيانات وتحليلها. أدركنا أن التحسين المستمر لنهجنا البحثي يتطلب مراجعة مستمرة للدروس المستفادة وتطبيقها في البحوث المستقبلية. على سبيل المثال، تحسين عملية اختيار العينة وتوسيع نطاقها لتشمل تمثيلاً أفضل لجميع الفئات الشبابية يمكن أن يعزز من دقة النتائج.

بناءً على ما سبق، نوصي بأن تُدمج نظرية التفاعلية الرمزية مع نظريات أخرى لتوفير تفسير أكثر شمولية للظواهر الاجتماعية الكبرى. يمكن لنظريات مثل نظرية الصراع الاجتماعي أو نظرية النظام الاجتماعي تقديم أطر تكاملية تساعد في تفسير تأثير العوامل الهيكلية والاقتصادية على ثقافة الشباب. هذا التكامل النظري يمكن أن يوفر فهمًا أعمق وأكثر توازنًا للظواهر المعقدة التي تميز حياة الشباب.

ختامًا، يمكن القول إن هذه الدراسة قدمت مساهمات مهمة في فهم كفاءة وحدود نظرية التفاعلية الرمزية في سياق ثقافة الشباب. لقد أضاءت على الجوانب القوية للنظرية في تفسير التفاعلات اليومية وبناء المعاني، وفي الوقت نفسه، أظهرت

المجالات التي تحتاج إلى تطوير وتكامل مع نظريات أخرى. نأمل أن تكون هذه النتائج دافعًا لمزيد من البحوث المستقبلية التي تسعى إلى تعميق فهمنا لثقافة الشباب وتعقيداتها، وتعزيز قدرة النظرية التفاعلية الرمزية على تقديم تفسيرات شاملة ومتكاملة للظواهر الاجتماعية.

قائمة البيبليوغرافيا

المراجع العربية

- فيغرسهاوس، رولف. (2022). *مدرسة فرانكفورت: تاريخها وتطورها النظري وأهميتها السياسية* (ترجمة عصام سليمان وغانم هنا). بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- هولبورن، مارتن؛ وهارلمبس، مايكل. (2010). *سوسيولوجيا الثقافة والهوية* (ترجمة حاتم حميد محسن). دمشق: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع.
- الزين، عبد الفتاح. (1999). *سوسيولوجيا الوقت الحر والتنشيط الثقافي*. المرصد الوطني لشؤون الطفولة، منشورات قافلة الكتاب.
- بن منصور، آية. (2019). *خطاب الرفض لدى المجموعات الفنية لفن الشارع الناشطة بشارع الحبيب بورقيبة مثالا*. تونس: رسالة ماجستير، تخصص السوسيولوجيا.
- سويدبرج، ريتشارد. (2020). *فن النظرية الاجتماعية* (ترجمة خالد عبد الفتاح وآخرون). مكتبة الأنجلو المصرية.
- مجموعة مؤلفين. (2017). *الأنثروبولوجيا: حقل علمي واحد وأربع مدارس* (ترجمة أبو بكر باقادر وإيمان الوكيلي). بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- هونت، أكسل. (2019). *الاجتماعي وعالمه المزق: مقالات فلسفة اجتماعية* (ترجمة ياسر الصاروط). بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- هارينغتون، أوستن. (2014). *الفن والنظرية الاجتماعية: نقاشات سوسيولوجية في فلسفة الجماليات* (ترجمة حيدر حاج إسماعيل). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية

المراجع الأجنبية

- Bourdieu, P. (1984). *Distinction: A social critique of the judgement of taste*. Harvard University Press.
- Giddens, A. (1984). *The constitution of society: Outline of the theory of structuration*. University of California Press.
- Burawoy, M. (2009). *The extended case method: Four countries, four decades, four great transformations, and one theoretical tradition*. University of California Press.
- Savage, J. (2007). *Youth culture: Identity in a postmodern world*. Open University Press.
- Haenfler, R. (2013). *Subcultures: The basics*. Routledge.

- Giardina, M. A. (2010). *Youth culture and sport: Identity, power, and politics*. Routledge.
- Subrahmanyam, K., & Šmahel, D. (2011). *Digital youth: The role of media in development*. Springer.
- Bronner, S. J. (2016). *Youth cultures in America*. ABC-CLIO.
- Alexander, C. (1964). *Notes on the synthesis of form*. Harvard University Press.
- Giddens, A. (1991). *Modernity and self-identity: Self and society in the late modern age*. Stanford University Press.
- Elias, N. (1991). *The symbol theory*. Sage Publications.
- Blumer, He. (1969). *Symbolic interactionism: Perspective and method*. University of California Press.
- Goffman, E. (1959). *The presentation of self in everyday life*. Anchor Books.
- Mead, G. H. (1934). *Mind, self, and society*. University of Chicago Press.
- Becker, H. S. (1963). Outsiders: Studies in the sociology of deviance. Free Press.
- Goffman, E. (1974). *Frame analysis: An essay on the organization of experience*. Harvard University Press.
- Berger, P. L., & Luckmann, T. (1966). *The social construction of reality: A treatise in the sociology of knowledge*. Anchor Books.
- Manis, J. G. (1976). *Symbolic interaction: An introduction, an interpretation, an integration*. Prentice-Hall.

Romanization of Arabic Bibliography

- Wiggershaus, R. (2022). *Madrasat Frānkfūrt: Tārīkhuhā wa-taṭawwuruhā al-naẓarī wa-ahammiyyatuhā al-siyāsiyyah [The Frankfurt School: Its History, Theoretical Development, and Political Significance]* (I, Soulayman & G, Hanna. Arabic Trans). Beirut: The Arab Center for Research and Policy Studies.
- Haralambos, M., & Holborn, M. (2010). *Sūsīūlūjiyā al-thaqāfah wa-al-huwiyyah [Sociology of Culture and Identity]* (Ḥ, Mohssen. Arabic Trans). Damascus: Kiwan Publishing, Printing, and Distribution House.
- Al-Zain, A. (1999). *Sūsīūlūjiyā al-waqt al-ḥurr wa-al-tanshīṭ al-thaqāfī [Sociology of Leisure Time and Cultural Activation]*. The National Observatory for Childhood Affairs, Caravan of the Book Publications.
- Ben-Mansour, A. (2019). *Khiṭāb al-rafḍ ladā al-majmūʿāt al-fanniyyah li-fann al-shāriʿ al-nāshiṭah bi-shāriʿ al-Ḥabīb Būrqībah mithālan [The Discourse of Rejection Among Street Art Groups Active on Habib Bourguiba Street as an Example]*. Tunis: Master's Thesis in Sociology.

- Swedberg, R. (2020). *Fann al-naẓariyyah al-ijtimāʿiyyah [The Art of Social Theory]* (K, Abdel-Fattah et al. Arabic Trans). Anglo-Egyptian Bookshop.
- Group of Authors. (2017). *Al-Anthrūbūlūjiyā: ḥaql ʿilmī wāḥid wa-arbaʿ madāris [Anthropology: One Scientific Field and Four Schools]* (A, Bakadir & I, Al-Oukili. Arabic Trans). Beirut: The Arab Center for Research and Policy Studies.
- Honneth, A. (2019). *Al-Ijtimāʿī wa ʿālamuhu al-mumazzaq: maqālāt falsafah ijtimāʿiyyah [The Social and Its Shattered World: Essays in Social Philosophy]* (Y, Assarout. Arabic Trans). Beirut: The Arab Center for Research and Policy Studies.
- Harrington, A. (2014). *Al-Fann wa al-naẓariyyah al-ijtimāʿiyyah: niqāshāt sūsīūlūjiyyah fī falsafat al-jamāliyyāt [Art and Social Theory: Sociological Debates in Aesthetics Philosophy]* (Ḥ, Haj-Ismail. Arabic Trans). Beirut: Center for Arab Unity Studies.